بعد ألف يوم حرب... أي مآل ينتظر قطاع غزة؟

باسم برهوم

قد لا يخطر للبعض ان مصطلح "قطاع غزة" ظهر بعد نكبة العام 1948، وهو بهذا المعنى مثله مثل مصطلح "الضفة الغربية"، تم استخضارهما للتعبير عن تقاسم فلسطين في حينه وتفكيكها وإلغاء وجودها ككيان سياسي يخص الفلسطينيين وحدهم.

ما يجري اليوم في قطاع غزة هو تفكيك كل ما قد يعيد فلسطين إلى خريطة الشرق الأوسط، وهنا يكمن سر رفض إسرائيل، وبالتحديد رفض اليمين المتطرف القاطع لفكرة الدولة الفلسطينية. وهنا يقتضي التوضيح ان ما يطلق عليه قطاع غزة ما هو إلا الساحل الجنوبي لفلسطين، وما يطلق على الضفة الغربية، هو وسط فلسطين، وهو يشمل القدس، لذلك كان هذا اليمين يرى في اتفاقيات أوسلو خطرا جديا، وربما وجوديا، ونجح في النهاية في منع تحويله إلى دولة حتى الآن.

فكرة التفكيك من المهم ادراكها للإجابة على سؤال عنوان المقال: أي مآل ينتظر قطاع غزة؟ والسؤال ذاته يمتد على الضفة ويناسب واقعها اليوم، وإن بأساليب أخرى، ولكن لتحقيق الهدف: تفكيك ما يمكن ان يعيد فلسطين إلى الخريطة.

إسرائيل بعد ألف يوم من الحرب تحتل أكثر من 60 بالمئة من القطاع، وتهدد باحتلال المزيد، وتقوم بمحاصرة أكثر من مليوني إنسان فلسطيني في منطقة لا تزيد مساحتها عن 120 كيلومترا مربعا، أغلبهم يعيش في خيام من قطع قماش بالية، وعمليا ما تحاول إسرائيل فعله تهيئة الظروف لإمكانية تهجير القسم الأكبر من السكان وضم أجزاء اوسع من القطاع.

مسألة اخرى بحاجة إلى فهم، هو مشروع حماس والاسلام السياسي في فلسطين، فإذا كان مشروع منظمة التحرير الفلسطينية بمنتهى الوضوح هو مشروع الدولة على حدود الرابع من حزيران/ يونيو 1967، فإن مشروع حماس يبقى غامضا، لأنه في الواقع مشروع يرتبط بمشروع جماعة الإخوان المسلمين، الذي لا تمثل فيه فلسطين بالنسبة لهم سوى جزء بسيط من مشروع الأمة الاسلامية، اليمين المتطرف الإسرائيلي رأى بوجود حماس ومشروعها الغامض وطنيا، احدى أدواته المهمة لمنع قيام دولة فلسطينية، لذلك لم يكن سرا ان نتنياهو كان الراعي الحقيقي لاستمرار فصل قطاع غزة عن الضفة، وهو وحكومته المتطرف يقومون اليوم بتفكيك كل احتمال يمكن ان يقود الفلسطينيين إلى الاستقلال على أي جزء من وطنهم التاريخية.

ولكن ما يبقي هامش الأمل موجودا، الحقيقة التي تقول: ان للحروب نتائج مؤقتة مهما كانت قاسية، ويمكن أن نبدأ من تجربتنا نحن الفلسطينيين، فقد ظنت الصهيونية في حرب 1948 انها نجحت في تفكيك الشعب الفلسطيني، وتفكيك فلسطين، وأن فلسطين وشعبها لن يعودا إلى المشهد مجددا، وبعد ذلك خاضت إسرائيل معظم حروبها لمنع مثل هذه العودة، خاصة حرب حزيران/ يونيو 1967، ولكن وفي نهاية الأمر اعترفت إسرائيل في أوسلو بالشعب الفلسطيني .

لو كان للحروب نتائج دائمة لما كنا نرى اليوم لا ألمانيا ولا اليابان قوة اقتصادية عالمية، للحروب نتائج قاسية لكنها لا يمكن أن تدوم لأنها ببساطة لا يمكنها القضاء على الشعوب.

نعود إلى أي مصير ينتظر قطاع غزة والضفة، ولكن التركيز على غزة لأن التهديد هناك مباشر، ولأن الحرب لا تزال قائمة ولو بوتائر أقل حدة، والتركيز على غزة لأن الوضع الإنساني بهذا السوء، ولا يمكن السكوت عنه أو القبول باستمراره، ولأن خطر التهجير قائم، وما دام العنصر الرئيس في المعادلة كلها يرتبط ببقاء الشعب الفلسطيني على ارضه، فإن كل شيء نقوم به بالضرورة يجب أن يكون لمصلحة هذا الهدف. بالتأكيد ان الحالة الفلسطينية بمجملها مستنزفة، وهي في غاية الصعوبة، ولكن لا يزال لدينا مؤسسات، ولدينا شعب ممتد ومتواجد على مساحة واسعة من العالم،، ولدينا تعاطف شعبي دولي لم يسبق له نظير، السؤال: كيف نستخدم عناصر القوة التي لا تزال بين أيدينا؟ بالتأكيد ليس بالطرق والأساليب القديمة يمكن ان نغير المعادلة، هناك حاجة إلى استغلال طاقات الشعب الفلسطيني المنتشر في العالم، ولكن كيف؟

لم تنجح الصهيونية في تحقيق أي من أهدافها لو لم يقتنع الجزء الأكبر من يهود العالم بها، أو لو لم تفلح في حشد طاقات يهود العالم معها.

المسألة الأساسية التي نحتاجها اليوم لمنع المآلات الأكثر سوءا، هو ايجاد طريقة لحشد طاقات الشعب الفلسطيني حول أهداف محددة، وهو ما ليس موجودا اليوم، ومن الواضح أن الأجيال الفلسطينية الجديدة لا تعرف جيدا ما هي منظمة التحرير الفلسطينية، وما تاريخها وما أهدافها.

وهنا يطرح سؤالا: كيف نقنع الجيل الجديد بممثله الشرعي والوحيد؟ كيف نواجه تلك الماكينات التي لا عمل لها سوى منع وحدة الشعب الفلسطيني، ومنع أي إمكانية لحشد طاقاته نحو أهداف محددة؟ هناك اسئلة كثيرة ولكن العنصر الرئيسي الذي لا ينقذنا غيره هو كيف نجعل الشعب الفلسطيني يلتف من جديد حول أهداف عملية قابلة للتنفيذ وأولها الحفاظ على وجود أهل غزة على أرضهم، وأهل الضفة والقدس على أرضهم؟

عبلة.. القلب فلسطيني والدم جزائري

جنين- الحياة الجديدة- عبد الباسط خلف- تتفاخر عبلة إسماعيل بني غرة، بجمعها بين فلسطين والجزائر، فهي ولدت في الجمهورية العربية الأكبر مساحة، وعاشت فيها 18 عاما، رفقة والدها المعلم الذي تزوج من جزائرية، وتقيم اليوم في بلدة برقين، بعد نزوحها القسري عن مخيم جنين.

وتلم بني غرة بالفرنسية والإنجليزية والأمازيغية، وتتأثر لهجتها كثيرا بالجزائرية، وتواظب على صناعة أطباق وحلويات جزائرية، فيما تنحاز لمنتخب "محاربي الصحراء"، الذي يستعد لخوض غمار منافسة جديدة مع الفريق السويسري في الدور الإقصائي.

وتقول إنها تنقلت بين ولاية البليدة وتيزي وزو في شمال الجزائر ووسطها، لكنها تفقد منذ 21 كانون الثاني 2025 بيتها، وتقيم في منزل ثان في جبال برقين.

وتشير إلى أنها بدأت بالتفكير في تحويل محنة النزوح إلى شيء مختلف، فبدأت بزراعة حديقة بيتها، وصارت تشغل جزءا من فراغها، وتوفر قسما من احتياجات العائلة.

وتوضح بأن فقدان المخيم والبيت والجيران والعمل في مركز النشاط النسوي، حيث تعمل مدربة للأشخاص ذوي الإعاقة، جعلها تصر على الإطاحة بفكرة النزوح.

وتبين بلهجة جزائرية تغلب لهجتها الأم، بأنها بدأت بطرح فكرة المقايضة على زميلتها في العمل وأخصائية الدعم النفسي رابعة ستيتي، التي تنتج مواد تنظيف، فهي ستقدم جزءا من البيض، مقابل حصولها على منظفات محلية الصنع.

وتقتني بني غرة دواجن وعدة أزواج من الحمام، في تجربة بدأتها قبل أسابيع، وتعمل على إدماج النازحين، ونسقت لهم أنشطة ترفيهية ومسرح دمى.

وتبين أنها طرحت على رفيق دربها حسام بني غرة، الذي فقد عمله في الداخل، تأسيس حديقة بيتية، وبدأ بمساعدتها، وأضافا إلى التربة اسمدة طبيعية، وأخذا يزرعان عدة محاصيل شتوية، وعدة أصناف صيفية، وقبلها كانت تتخصص في رعاية الورود.

تحمل بني غرة دبلوم تربية خاصة، وتعمل في مركز النشاط النسوي، الذي لا تعلم عن مصير مكانه ومقتنياته شيئا، منذ إعادة احتلال المخيم.

تتعاون عبلة مع زوجها، واستطاعا شراء أرض بالتقسيط، وتعليم ابنهما البكر إسماعيل، المترجم اليوم في المملكة المتحدة، ويرعَيان أحمد، 22 عاما، من الأشخاص ذوي الإعاقة، ويُدَرِّسان ملك الإنجليزية في سنتها الأولى، إضافة إلى إبراهيم في "التوجيهي"، وعمر ابن الصف التاسع.

تركت بني غرة الجزائر عام 1995، لكنها تستعد لنيل جواز سفر جزائري، وزيارة أرض الطفولة والصبا، وتحرص على تقديم أطباق جزائرية كطاجن الدجاج والزيتون، وخبز الدار أو خبز القبائل، وحلوى المقروط والقريوش (العجين الحلو المقلي بالزيت).

ينقل كأس العالم الجزائر إلى مشارف جنين، فينحاز أولادها لمنتخب الخضر، وتصنع الأم حلوى السفنج خلال التشجيع، وتستذكر نجوم مسقط راسها: رابح ماجر، والأخضر بلومي، وتستعد لتدشين ملعب كرة سلة صغير في مكان بيتها الثاني. وصفق لعبلة وتجربتها في الاكتفاء الذاتي الحاضرون لورشة (أثر الوضع الاقتصادي الراهن على استقرار السر في محافظة جنين)، التي نفذتها جمعية كنعانيات للتنمية والدراسات بالشراكة مع مركز الطفل الثقافي، وضمن مشروع "مدن حامية للنساء"، بالتعاون مع دار الفتوى.

وتخللت الورشة شهادات وتجارب قدمها رئيس بلدية جنين محمد جرار، ومفتي المحافظة محمد أبو الرب، ومدير عام "كنعانيات" غادة شديد، ورئيس الاتحاد العام للأشخاص ذوي الإعاقة محمود العمور، والصحفي علي سمودي، وناشطات نسويات، ورؤساء مؤسسات أهلية.

ورسم المتحدثون صورة قاتمة لتداعيات البطالة والفقر في المحافظة، وحثوا على الإدارة الرشيدة في ظل الأزمات، ومراجعة بعض الظواهر الاستهلاكية والاجتماعية كالبذخ والمغالاة في الأعراس.

كما عرضوا تجارب مجتمعية رائدة كمشاركة أهالي الحي الشرقي في الحفاظ على الممتلكات العامة، في تجربة المواطن باعتباره شريكا.

إيرانيون يعزفون عن حضور مراسم تشييع خامنئي لاعتبارها "باذخة" أو غير آمنة

باريس- أ.ف.ب- يساور القلق بعض الإيرانيين ممن قرروا العزوف عن المشاركة في مراسم تشييع المرشد الأعلى علي خامنئي، خوفا على سلامتهم، فيما يرفض آخرون أن يكونوا جزءا مما يرونه مراسم باذخة في ظل ما يعانيه اقتصاد بلادهم من صعوبات.

وتقام مراسم تشييع المرشد الراحل الذي قتل في ضربات أميركية إسرائيلية أشعلت الحرب في الشرق الأوسط، في ظل هدنة لا تزال متأرجحة بين الولايات المتحدة وإيران، وبعد ستة أشهر من خروج احتجاجات واسعة مناهضة للحكومة هزت البلاد.

"تعريض الناس للخطر"

في حديثها إلى فرانس برس، تقول عفت (67 عاما)، وهي ربة منزل تقيم في مدينة مشهد في شمال شرقي البلاد، "أخشى أن يؤدي سوء التنظيم إلى تعريض حياة الناس للخطر. ويقلقني احتمال وقوع أعمال عنف أو هجوم إرهابي (..) أتمنى فقط أن يعود جميع المشاركين إلى منازلهم سالمين".

طهران تفرغ من سكانها

أما آزاده (43 عاما)، وهي مترجمة مقيمة في طهران، فتشرح "من خلال ما أراه، يبدو أن كثيرين يغادرون طهران هربا من الفوضى والازدحام. المدينة هادئة على غير عادتها. لا أعرف من أين سيأتون بـ15 مليون مشارك كما يزعمون. الناس يتحدثون عن نقل موظفين حكوميين وحتى تلامذة مدارس بالحافلات من مدن أخرى إلى طهران السبت. أكثر ما يقلقني هو سلامة هؤلاء الأطفال".

مثقلون بأجواء المدينة

بالنسبة إلى سعيد (29 عاما) الذي يعمل في قطاع التكنولوجيا في طهران، فإنه "على رغم درجات الحرارة المرتفعة، تبدو الطرق المؤدية إلى خارج طهران مكتظة. كثير من السكان توجهوا بالفعل شمالا، وأنا سأغادر لأن البقاء في المدينة أصبح صعبا جدا. الأجواء متوترة. شوارع كثيرة مغلقة، ونقاط التفتيش الليلية عادت، والمدينة مليئة بالعناصر الأمنية وبأعداد كبيرة من الأشخاص ذوي المظهر الديني المحافظ. أشعر بعدم الارتياح ولا أستطيع تحمل ذلك. أعتقد أنهم قد يتمكنون من حشد أربعة أو خمسة ملايين من المؤيدين، ثم ستعلن وسائل الإعلام الرسمية على الأرجح أن عدد المشاركين بلغ 20 مليونا".

"من أين يأتون بكل هذا المال؟"

يلفت علي (49 عاما)، المقيم في مدينة تنكابن على ساحل بحر قزوين، إلى ما تقوله الحكومة من أنها "أعدت الطعام والشراب وأماكن الإقامة وخدمات أخرى لـ15 مليون مشارك. سؤالي هو: من أين تأتون بهذا المال؟ خلال الأيام القليلة الماضية فقط، ارتفعت أسعار الخبز وبعض المواد الغذائية الأساسية، بحسب ما يقال، بنسبة تصل إلى 30٪. في النهاية، الناس هم من يدفع الثمن".

دعاية لتكريم "دكتاتور"

وحسب كاوه (38 عاما)، الفنان التشكيلي المقيم في طهران، فإن "هذه المراسم لا تجلب للناس سوى الإحباط. أي من هذه الخدمات، من خيام مؤقتة ومراحيض متنقلة وإنترنت للطوارئ وخدمات لوجستية سريعة وتموين وإمدادات غذائية، لم يوفر للإيرانيين بشكل مناسب خلال الأزمات الحقيقية مثل الزلازل أو الفيضانات. مع ذلك، وفي ظل اقتصاد أنهكته الحرب، تنفق أموال الناس على مراسم مكلفة وباذخة".

"فقاعتان"

تقول إلناز (32 عاما)، وهي رسامة مقيمة في طهران، "بالنسبة إلى أشخاص مثلنا، ممن يعيشون حياة عادية وليسوا متدينين ولا تربطهم علاقات بالحكومة، فإن وجود خامنئي أو غيابه لم يغير كثيرا في حياتنا اليومية (...) طوال سنوات، بدا وكأن عامة الناس وأنصار الحكومة يعيشون في فقاعتين منفصلتين، رغم أنهم في البلد نفسه. وهذه المراسم لا تختلف عن مناسبات رسمية أو دينية أخرى لا تستقطب سوى أقلية من المجتمع الإيراني".

صمت الأنقاض يبدد آمال العثور على ناجين في فنزويلا

لا غوايرا (فنزويلا)- أ.ف.ب- قرر فريق من المسعفين الخميس على مضض إنهاء عملية بحث بين الأنقاض، بعدما توقفت أجهزة الاستشعار التي كانت ترصد حتى ذلك الحين مؤشرات حياة عن إرسال أي إشارة. فبعد الزلزال المزدوج في فنزويلا، صار الصمت إيذانا بالاستسلام للواقع.

انتهى عمل الفريق الذي استمر نحو ثلاثين ساعة بالفشل. وقبل ذلك بقليل، احتفل مسعفون آخرون بإنقاذ رجل يبلغ 43 عاما بقي حيا ثمانية أيام تحت أنقاض مبنى من سبع طبقات انهار جراء زلزالين بقوة 7,2 و7,5 درجات دمرا منطقة لا غوايرا الساحلية شمال العاصمة كراكاس.

وكان ذلك بارقة أمل وسط حصيلة تتجاوز 2500 قتيل أحصتهم السلطات الفنزويلية وعشرات آلاف المفقودين، وفق الأمم المتحدة.

لذلك، لا يزال هرنان ساندوفال يأمل بأن يظهر ابنه رونالد، البالغ ثماني سنوات، وابنا شقيقه سالمين.

ويقول هذا البحار البالغ 26 عاما، بعدما جال على المستشفيات ومراكز الإيواء وأطلق نداءات عبر شبكات التواصل الاجتماعي بحثا عنه، "يا إلهي، لماذا تأخذ ابني وهو ملاك؟". ويؤكد لوكالة فرانس برس "لا أزال متمسكا بإيمان كبير".

لكن آخر تقييم أجراه المسعفون لم يكشف أي مؤشر حياة في المكان. وابتعدوا عن أنقاض ما كان مبنى، وتناقشوا في حلقة. وخلصوا إلى أنه لم يعد بالإمكان فعل شيء، فعلقت العملية. وتتضاءل فرص العثور على ناجين ساعة بعد ساعة. ويوضح أحد المسعفين أن جسم الإنسان يمكن أن يصمد حتى سبعة أيام من دون ماء. وقد وقعت الكارثة قبل ثمانية أيام.

وقد يتوقف البقاء على قيد الحياة أيضا على الظروف الحرارية، فيما الحرارة خانقة في لا غوايرا.

"كتبه في الحقوق"

تحت مبنى منهار آخر، يشرح مسعف مكسيكي أنه رصد مؤشرات حياة بفضل جهاز يعمل بترددات الراديو، لكن لم تتسن إقامة أي تواصل. ويحفر فريقه ويزيل الركام من دون جدوى.

يطلب المسعفون التزام الصمت في محيط المكان. وتأمر الشرطة بإطفاء محركات السيارات المارة على الطريق المدمر. ويحاول أحدهم النداء "نحن مسعفون، أحدثوا ضجيجا!". لا جواب.

ويرجح المسعف أن يكون الجمعة، اليوم التاسع منذ المأساة، آخر أيام البحث.

وعلى مسافة أبعد، يستخدم فريق أميركي كلابا مدربة وجهازا عالي الحساسية لرصد الأصوات. ولا شيء أيضا.

وتنتظر مارينا كاستيو (67 عاما) مساعدة لانتشال جثمان حفيدها ألكسندرو دي غيديتشي، طالب الحقوق البالغ 24 عاما. وتقول: "كان الأمر مروعا، لا يوجد أي دعم"، في شكوى تعكس استياء واسعا بين السكان الذين ينتقدون تقاعس الحكومة الفنزويلية رغم وصول تعزيزات من 27 دولة.

لذلك، حمل الجيران والأقارب والمتطوعون معاولهم ومجارفهم وراحوا يفتشون بين الأنقاض.

وتقول: "تمكنا من الوصول إلى شقته، رأينا كل كتبه في الحقوق وملفاته. هذا فظيع". لكن ذلك لم يكن كافيا. وتضيف "ما أريده الآن هو أن يخرجوه من هناك".

تصميم

وانهار نحو 200 مبنى بالكامل جراء الزلزالين اللذين ضربا خصوصا لا غوايرا والعاصمة كراكاس، وفق البيانات الرسمية.

وكتب ميروسنيل غوردون بطلاء أسود على واجهة منزل خضراء "النجدة، أمي ماتت هنا".

وقد غطت عائلته الجثة بالجير من أجل "التخفيف" من آثار التحلل.

ويقول: "ننتظر هنا أن يتمكنوا من انتشال جثتها، لكننا نحتاج إلى معدات وآليات". ويضيف: "يحاول مسعفون متطوعون حاليا إزالة العارضة" التي تعيق الوصول إلى الجثة.

وللمساعدة في عمليات البحث، أحضر جوناثان سوتو جرافة من ولاية أنزواتيغي، على بعد مئات الكيلومترات من لا غوايرا. ويطلب الناس مساعدته، لكنه يدعو إلى الهدوء قائلا "لا يمكننا التسرع بهذه الطريقة". ويتسع نطاق اليأس، لكن التصميم لا يزال حاضرا. فلم يعثر المسعفون على أي مؤشر حياة خارج المجمع السكني حيث فقدت حماة جوان مانويل لوسينا، "لكننا لن نتحرك من هنا، سنخرجهم من هناك، أحياء أو أمواتا"، حسب ما يؤكد الرجل.